رأينا خلاءً من عيونٍ، ومجلساً
دميثَ[١] الرُّبَى، سهلَ المحَلّةِ، مُمرِعا[٢]
وقلنا: كريمٌ نالَ وصلَ كرائمٍ،
فحُقّ له في اليومِ أن يتمتّعا

أخذت رداءه

وقال يتذكر أسماء ويتشوق إليها:

[الطويل]

غَشِيتُ بأذنابِ[٣] المُغمَّسِ[٤] منزلاً،
به للَّتي نهوى مَصيفٌ ومَربَعُ
مغانيَ[٥] أطْلالٍ، ونؤياً[٦]، ودمنةً[٧]،
أضرّ بها وَبْلٌ[٨] ونكباءُ[٩] زَعزَعُ
بِخَبْتِ[١٠] حُليّاتٍ[١١] كأنّ رسومَها
كِتابُ زَبورٍ[١٢] في عسيبٍ[١٣] مُرَجَّعُ[١٤]
فهاجَ عليكَ الشّوقَ رسمٌ مُعطَّلٌ،
أحالَ زماناً، فهو بيداءُ[١٥] بلقعُ[١٦]

(١) الدميث: اللين، السهل.
(٢) الممرع: الخصيب.
(٣) الأذناب: نهاية الوادي.
(٤) المغمّس: موضع بطريق الطائف.
(٥) المغاني، الواحد مغنى: البيوت.
(٦) النؤي: ما يحفر حول الخيمة للحؤول دون تسرّب الماء إليها.
(٧) الدِّمنة: آثار الناس وما سَوّدوا.
(٨) الوبل: المطر.
(٩) النكباء: الريح المنحرفة الواقعة بين ريحين.
(١٠) الخبت: المتسع من بطون الأرض.
(١١) حُليّات: موضع.
(١٢) الزبور: كتاب داود عليه السلام.
(١٣) العسيب: جريد النخل.
(١٤) المرجّع: عادت خطوطه.
(١٥) البيداء: الصحراء.
(١٦) البلقع: الأرض القفر التي لا شيء بها.

فإن يُقْوِ[١] مغناهُ[٢]، فقد كان حِقْبَةً
أنيساً به حُورُ[٣] المدامعِ، رُوَّعُ[٤]
ليالي، إذْ أسماءُ رؤدٌ[٥] كأنّها
خليٌّ[٦] بذي المسروح[٧] أدماءُ[٨] مُتْبِعُ[٩]
لها رَشَأٌ[١٠] تحنو عليه بجِيدِها،
أغنُّ[١١]، أحمُّ[١٢] المُقْلَتَيْنِ، مُوَلَّعُ[١٣]
إذا فَقَدَتْهُ ساعةً عندَ مَرتعٍ،
تراها عليه بالبُغام[١٤] تَفَجَّعُ
تكادُ عليه النفسُ منها مخافةً
عليه الذّئابَ العادياتِ تَقَطَّعُ
يُذكّرُنيها كلُّ تغريدِ قَينةٍ،
وقُمْرِيَّةٍ[١٥] ظلّتْ على الأيْكِ تسجعُ[١٦]
يُجاوبها ساقٌ هَتوفٌ[١٧] لدى الضّحى،
على غُصْنِ أيْكٍ بالبكاءِ يُرَوَّعُ
لقد خَلُعَتْ[١٨] في أخذِها بردائه
جِهاراً، وما كانت، بعهديَ، تخلُعُ

(١) يقوِ: يقفر. (٢) مغناه: منزله.
(٣) الحور، الواحدة حوراء: وهي ذات عينين اشتدّ سوادهما واشتدّ بياضهما مع اتساعهما.
(٤) رُوّع: رائعات الجمال. (٥) الرؤد: الشابّة الحسناء.
(٦) الخليّ: التي لم تتزوّج بعد، ويقصد بذلك ظبية.
(٧) ذي المسروح: موضع. (٨) الأدماء: الشديدة البياض.
(٩) متبع: يتبعها صغيرها. (١٠) الرشأ: ولد الظبية.
(١١) الأغن: الظبي يُخرج صوته من خياشيمه.
(١٢) أحمّ: أسود. (١٣) المولّع: الأبلق مع استطالة البلق.
(١٤) البُغام: صوت الظبية إذا دعت ولدها، وهو صوت رخيم.
(١٥) القمريّة: ضرب من الحمام. (١٦) تسجع: تغنّي.
(١٧) ساق هتوف: ذكر يغنّي مجيباً على غنائها.
(١٨) خَلُعت، من الخلاعة: التهتُّك.

ومـدّتْ لـدى الـبـيـتِ الـعـتـيـقِ بـثـوبـه،
نـهـاراً، فـمـا يـدري بـهـا كـيـفَ يـصـنـعُ
يـظـلُّ، إذا أجـمـعـتُ صَـرْمـاً مُـبـايـنـاً،
دَخـيـلٌ لـهـا فـي أسـودِ الـقـلـبِ[١] يـشـفـعُ[٢]
تـذكّـرتُ، إذْ قـالـتْ غـداةَ سُـوَيْـقَـةٍ[٣]،
ومُـقـلـتُـهـا مـن شـدّةِ الـوجْـدِ تـدمـعُ
لأتـرابِـهـا: لـيـتَ الـمُـغِـيـريّ، إذ دنَـتْ
بِـــه دارُهُ مـــنَّـــا، أتـــى، فـــيـــوَدِّعُ
فـمـا رِمْـتُـهـا[٤]، حـتـى دخـلـتُ فُـجـاءَةً
عـلـيـهـا، وقـلـبـي، عـنـد ذاك، يُـروَّعُ[٥]
فـقـلـنَ: حَـذارِ الـعـيـنَ، لـمَّـا رأيْـنَـنـي،
لـــهـــا، إنّ هـــذا الأمـــرَ أمـــرٌ مُـــشَـــنَّـــعُ
فـلـمّـا تـجـلّـى الـرَّوعُ عـنـهـنّ قـلـنَ لـي:
هَـلُـمّ، فـمـا عـنـهـا لـك الـيـومَ مَـدفَـعُ
فـظـلّـتْ بـمـرأًى شـائـقٍ وبـمَـسْـمَـعٍ،
ألا حـبّـذا مـرأًى، هـنـاك، ومـسـمـعُ!

ذات الخال

وقال يذكر نعماً وتكنى أم بكر من بني جمح، ثم من قريش: [الطويل]

لـقـد حـبّـبَـتْ نُـعْـمٌ إلـيّ بـوجـهـهـا
مسـافـةَ[٦] مـا بـيـنَ الـوتـائـرِ[٧] فـالـنَّـقْـعِ[٨]

(١) أسود القلب: حبته.
(٢) يشفع: يأخذ على عاتقه ليحميه.
(٣) سُويقة: موضع.
(٤) رِمتها: برحتها.
(٥) يُروّع: يُفزّع.
(٦) ورد البيتان الأولان في الأغاني ٩: ٢٣١. ويروى «مساكن» بدلاً من «مسافة».
(٧) الوتائر: موضع ما بين مكة والطائف.
(٨) النقع: موضع قرب مكة.